ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 08، العدد: 02 (2023) ص : 207 - 215

من أسرار التركيب في التعبير القرآني
(دلالة الحذف)

One of the secrets of composition in the Quranic expression (meaning delete)

د/ حسين بركات *
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد بوضياف – بالمسيلة ، الجزائر
ص ب 166 اشبيليا، 28000، المسيلة الجزائر
hocine.barkat@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2023/06/17
تاريخ القبول:
2023/10/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحذف.
- ✓ التقدير.
- ✓ الأسرار البلاغية.
- ✓ التعبير القرآني

الملخص:

تتميز اللغة العربية بمجموعة من الظواهر اللغوية التي تساهم في بناء النصوص، وقد اتخذها اللغويون والنحاة أداة للتحليل اللغوي لأجل الوصول إلى المعاني ، وتذوق النصوص اللغوية وخاصة النص القرآني ومنها :الحذف، والزيادة ، والتقديم والتأخير، والتضمين والتوسع في المعنى، وغير ذلك .. وفي هذه المقالة سأعالج موضوع الحذف كظاهرة في نظام اللغة العربية مبينا مفهومه، وشروطه، وأسبابه، وأقسامه ثم أنواعه و أسراره البلاغية الخفية في التعبير القرآني.

Article info

Received
17/06/2023
Accepted
01/10/2023

Keywords:
deletion
Appreciation
rhetorical secrets
Quranic expression

Abstract :

The Arabic language is characterized by a set of linguistic phenomena that contribute to the construction of texts, and linguists and grammarians have taken it as a tool for linguistic analysis in order to reach the meanings and appreciate the linguistic texts.
Especially the Qur'anic text, including: deletion, addition, introduction and delay, inclusion and expansion of meaning, and so on.. In this article, I will address the issue of omission as a phenomenon in the Arabic language system, showing its concept, conditions, causes, divisions, types, and hidden rhetorical secrets in the Qur'anic expression.

*المؤلف المرسل

1.مقدمة

يعتمد التحليل البياني على بيان أسرار التركيب في التعبير بشكل عام وفي التعبير القرآني على وجه الخصوص،حيث تنصب فيه العناية على التحليل وفي التحليل تكمن الجوانب الفنية كالتقديم والتأخير والحذف ، واختيار لفظة على أخرى ، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير.

ويعد الحذف أسلوبا تعبيريا وأداء لغويا تمتاز به العربية، وهو من أسرار اللغة يهدف إلى تأدية دلالات كثيرة في التركيب منها: التعظيم، والتفخيم، والإيجاز. وهو من سنن العربية في كلامها، إذ يعد بابا من أبواب الاقتصاد اللغوي لما له من جمال في التركيب، وتقليل جهد في التصويت. من هنا تظهر قيمة الحذف في الكلام العربي بوصفه من أقوى الظواهر وأكثرها اتساعا وأصالة في اللغة العربية، وفي التعبير القرآني. وعليه ما دلالة الحذف في التعبير القرآني؟ تتفرع عن ذلك أسئلة فرعية مفادها-: مالحذف؟ ما أهميته وما شروطه ؟ وما هي أنواعه وبلاغته في النص القرآني ؟

1 ـ مفهوم الحذف وأهميته

الحذف في لغة العرب : القطع والإسقاط، جاء في اللسان:"حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه" (ابن منظور: 1413هـ/1995م ، ص93)

والحذف في الاصطلاح يعرفه الزركشي بقوله:"... إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل"ويضع له شروطا من أهمها أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إما من لفظه أو من سياقه حتى لايختل المعنى.(الزركشي: 1957م ، ج3، ص127)

كما يعرفه أحد الباحثين المعاصرين بأنه:"إسقاط لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية ، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحويا لسلامة التركيب وتطبيقا للقواعد، ثم هي موجودة ويمكن أن توجد في مواقف لغوية مختلفة" (علي أبو المكارم: 2008م/ ص200)

والحذف خلاف الأصل،(الزركشي: ج3، ص 104) وهو الصورة المقابلة للزيادة، (علي أبو المكارم:2008م ، ص249) وكلاهما يعد عدولا عن النمط المعياري للجملة،، وهو :" ظاهرة في اللغة لا تقل أهمية عن الذكر، وكما أن التصريح باللفظ في التراكيب أمر يقتضيه السياق والتركيب، فإن الحذف أيضا ظاهرة لا تقل أهميتها عن اللفظ المذكور، وتقديره أمر يعود إلى السياق ، والمذكور هو الذي يفسر المحذوف ويشير إليه، ويعطي القارئ القدرة على تحديد المحذوف مهما كان نوعه" (علي أبو المكارم: 2008م/ ص201)

2 ـ أهمية الحذف في التعبير:

تكمن أهميته عند أهل العربية في عده من الأبواب اللطيفة ،لأنه يكسب الكلام جودة وبلاغة ولا يحسنه إلا المتمكن في اللغة وأساليبها ، كما أن له في الجملة العربية تأثيرا كبيرا في تأدية المعاني، ويفرقون بينه وبين الإيجاز يقول الرماني:" الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة؛ فالألفاظ القليلة إيجاز، والإيجاز على وجهين: (حذف) و(قصر)؛ فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف".(الروماني:1318ه ، ص76)

كما أن الحذف من الأساليب التي استخدمها العرب لتزيين كلامهم ، وجعله أبلغ تأثير في نفسية المتلقي لأن"من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه". (الفراء: (د.ت) ج1، ص3)

و يقول عبد القاهر الجرجاني وهو يبين بلاغة الحذف عموما:" هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة، وتجد أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن... ورب حذف فيه قلادة الجيد، وقاعدة التجويد" (الجرجاني: 1995م ، ص105 – 109)

يبين الجرجاني بأن الحذف باب دقيق لطيف، يكسب الكلام قوة وبيانا وجمالا، يبهر النفوس ، ويذهب بالفكر مذاهب شتى، والسبب في ذلك ــ كما بينه الجرجاني ـ أن ترك الإفصاح أبلغ من الإفصاح ، وأن التلميح أبلغ

من التصريح؛ بل إنك تجد في بعض الأحايين السكوت أبلغ جوابا وأحسن بيانا، وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد.

3 ـ أقسام الحذف في التعبير:

المحذوف تدل عليه قرائنه ، وفيه ما يشغل الفكر ويعمل في تحديد المحذوف ومكانه، حيث يشترك العقل في الدلالة على المعاني والإشارة إليها بعد أن كانت المعاني تؤدى بالألفاظ (عبد الفتاح لاشين : 1420هـ / 2000م ، ص 151)

والحذف في التعبير قسمان:

1- قسم لا يؤدي إلى اطلاق المعنى وهو الذي يتعين فيه المحذوف على نحو قولك لأحد: ماذا تقرأ؟ فيكون جوابه: قصة، أي أقرأ قصة، ومنه قوله تعالى: { **مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً** } [النحل: 30] ؛ أي أنزل خيرا، وهذا القسم يستخدم من قبل علماء اللغة أثناء تحليلهم للعلاقات التركيبية بين الكلمات عن طريق الإعراب فيلجأون إلى تقدير المحذوف لموضع الكلمة.

2ـ ونوع آخر يؤدي إلى إطلاق المعنى وتوسعه، و هذا القسم لا سبيل إلى إظهار المحذوف وهو الذي تناقشه البلاغة؛ لأنه يظفي على الكلام جمالا و على المعنى شرفا وبيانا.

4 ـ نماذج من أنواع الحذف وبلاغته في التعبير القرآني:

إن من الحذف ما يؤدي إلى إطلاق المعنى وتوسعه أي أن الغرض منه هو تعدد المعاني للتركيب، وهو ذلك التعبير الذي لا يتعين فيه المحذوف بل يحتمل عدة تقديرات دلالية وإعرابية، حيث يرى سيبويه: "أن الحذف للتوسع في اللغة أكثر من أن يحصى (سيبويه: 1999م، ج1، ص215) :"... فما صح تقديره وأمكن أن يكون مرادا في سياقه كان ذلك من باب التوسع في المعنى"، (فاضل السامرائي: 1421هـ/2000م ،ص181،180) .

وقد تناول المفسرون وعلماء البلاغة موضوع الحذف تناولا شاملا وعاما بحيث يمكن القول: أنه القضية الأكثر معالجة وتحليلا من قضايا التركيب الأخرى لما له من صلة قوية بالمعنى أولا، ولوفرته في التعبير القرآني ثانيا. ولم يقتصروا في تناولهم هذا على بيان المعاني النحوية أو الأغراض البلاغية للحذف؛ بل اعتمدوا في تحليلهم على وصف الواقع اللغوي بعلمية وموضوعية.

كما اعتمدوا في تناولهم للحذف على الأسس والاعتبارات التركيبية والدلالية والمقامية، فكثيرا ما كانوا يعتمدوا على التقدير في تعيين المحذوف وقد يرجعونه إلى دلالة ما قبله، أو إلى علم المخاطب، وهم في كل ذلك يدركون أن للحذف جماليات يضفيها على التعبير لما له من أثر على نفسية المتلقي؛ وفي هذا يقول الفخر الرازي:" والحذف أفخم لأن عند الحذف يذهب الوهم كل مذهب..." (الرازي: 2003م،ج، 11، ص82)

ويقول ابن عاشور:"... ومن أساليب القرآن المنفرِد بها التي أغفل المفسرون اعتبارَها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسَب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المَقام لإرادتهما، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز ...بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان".(ابن عاشور: 1420هـ/2000م ،ج1، ص122)

وأشير إلى أن تتبع دلالات الحذف في التعبير القرآني بحث يطول لايمكن إيفاءه حقه في هذه الدراسة، لذلك سأكتفي بذكر نماذج لبيان اللطائف التي تخفيها هذه الظاهرة في التعبير القرآني.وله أنواع نذكرها على النحو التالي:

4 ــ 1ــ من أمثلة الحذف الحرفي نذكر مايلي:

يكون في التعبير الواحد الذي يفيد تعددا في المعنى وذلك إذا صح تقدير أكثر من حرف جر فيتسع المعنى بقدر ما يصح تقديره من الحروف، كمثل قولنا: (أشهد انك كنت مسافرا) ففي هذه الجملة يصح أن يقدر حرف الجر: (الباء) و(على) فيكون المعنى:

ـــ أشهد بأنك كنت مسافرا
ـ أشهد على أنك كنت مسافرا.
وكذلك جملة : (توافقنا أن ينصر بعضنا بعضا) يصح أن تقدر الحروف التالية: (الباء) و (اللام) و (على) فيكون المعنى:
ـ تواثقنا بأن ينصر بعضنا بعضا على تقدير (الباء).
ـ تواثقنا على أن ينصر بعضنا بعضا على تقدير (على).
ـ تواثقنا لينصر بعضنا بعضا على تقدير (اللام).(ينظر: فاضل السامرائي: 1421هـ/2000م ، ص273)
ونحو هذا كثير في العربية، وكذلك في القرآن الكريم منها قوله تعالى: **{ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ }** الْأَعْرَافِ [169] .
في هذه الآية المحذوف يحتمل عدة تقديرات وهي:
ـ تقدير حرف الجر وهو (الباء): (بألا يقولوا على الله إلا الحق). قال ابن عاشور:" وأن لا يقولوا هو مضمون ميثاق الكتاب فهو على حذف حرف الجر قبل (أن) الناصبة، والمعنى: بأن لا يقولوا، أي بانتفاء قولهم على الله غير الحق..." (ابن عاشور" 1420هـ/2000م، ج 9 ، ص163)
تقدير حرف الجر (في) أي: في ألا يقول على الله إلا الحق كما يقال : (أخذنا بالوثيقة في أمره وتوثق في أمره).
ويحتمل أن يكون التقدير حرف الجر (على) أي: (على أن لا يقولوا على الله إلا الحق) بمعنى: ألم يؤخذ عليهم عهد على ذلك كما يقال : توافقنا على الإسلام أي : تحالفنا وتعاهدنا (ابن منظور: 1413هـ/1995م، ج12، ص251)
ويحتمل أن المقدر حرف الجر (اللام)، ومعناه: (لئلا يقولوا على الله إلا الحق) (الألوسي: (د.ت) ،ج9، ص67)
كما يحتمل أن يكون قوله تعالى: {أن لا يقولوا على الله إلا الحق" عطف بيان للميثاق أو بدلا منه يقول ابن عاشور:"... ويجوز كونه عطف بيان من ميثاق، فلا يقدر حرف جر، والتقدير: ميثاق الكتاب انتفاء قولهم على الله ".(ابن عاشور: 1420هـ/2000م ،ج8، 163)
ويحتمل أن تكون (أن) مفسرة أو مصدرية؛ فيكون الميثاق بمعنى (القول) فتكون الجملة مفسرة.(الألوسي: (د.ت) ج9، ص67) ويحتمل أن تكون نافيا وناهية أيضا، وهذه المعاني كلها مرادة و مطلوبة فيكون كسب تسعة معاني في آن واحد: معنى (الباء) و(في) و(اللام) و(على) و(البدل) و(عطف البيان) و(التفسير) و(النفي) و(النهي)، ولو ذكر أي حرف لتحدد المعنى،(ينظر: فاضل السامرائي: 1421هـ/2000م ،ص183)
وكذا قوله تعالى: **{ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ }** النساء 127 ، فالعبارة (وترغبون أن تنكحوهن) فيها حذف لحرف الجر، وهو يحتمل إما (في) او (عن) ؛ لأن العرب تقول: (رغبت عن الشيء) إذا زهدت فيه، ورغبت في الشيء إذا حرصت عليه، فلما ركب الكلام تركيبا حذف معه حرف الجر فاحتمل التأويلين جميعا: معنى: و ترغبون في نكاحهن بسبب جمالهن أو ما لهن، أو معنى: وترغبون عن نكاحهن
بسبب دمامتهن وقلة ما لهن (الزركشي: 1957م ،ج2، ص210)
4 ـــ 2ـــ ومن أمثلة حذف الاسم في التركيب القرآني ما جاء في المواضع التالية:
وذلك كنحو قولنا: (هو لا يفقه إلا قليلا) فحذف المصدر في هذه الجملة والإبقاء على صفته يحتمل تقديرين:
ـ احتمال أن يكون المحذوف مفعولا مطلقا بمعنى: هو لا يفقه إلا فقها قليلا.
ـ احتمال أن يكون المحذوف مفعولا نه، فيكون المعنى: هو لا يفقه إلا قليلا من الأمور.

ومما جاء في التعبير القرآني قوله تعالى: { **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ** } [التوبة: 82]، فهذا يحتمل أن يكون المعنى: فليضحكوا ضحكا قليلا،وليبكوا بكاء كثيرا ، فيكون التقدير حذف المفعول المطلق، ويحتمل أن يكون المعنى: فليضحكوا زمنا قليلا، وليبكوا زمنا كثيرا فيكون التقدير حذف الظرف (ينظر: فاضل السامرائي: 1421هـ/2000م ،ص185).وعند الألولوسي:" ...ونصب (قليلا) و (كثيرا) على المصدرية أو الظرفية أي ضحكا أو زمانا قليلا وبكاء أو زمانا كثيرا".(الألوسي: (د.ت) ج10، ص152)

ومثل ذلك أيضا في قوله تعالى: { **سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها** } [النُّور: 1] حيث جاء في التبيان في إعراب القرآن قوله:" سورة بالرفع على تقدير: هذه سورة، أو فيما يتلى عليك سورة، ولا تكون كلمة (سورة) مبتدأ لأنها نكرة" (العكبري: 1988، ج2، ص153) وهذا يحتمل معنيين:

ـ هذه سورة أنزلناها .

ـ فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها.

وفي قوله تعالى: { **وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** } [البقرة:177] قال أن فيه حذف والتقدير: (ولكن البر بر من آمن بالله), فحذف المضاف وهو كثير في الكلام كقوله:{ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } [البقرة:93]؛ أي: (حب العجل), ويقولون: (الجود حاتم) و(الشعر زهير) و(الشجاعة عنترة)" (ابن هشام: 1426هـ ــ 2005مج1، ص 349) ، وبذلك يتبين أن الحذف:"علاقة من العلاقات النصية التي من شأنها لعب دور مهم في الاتساق النصي ". (أحمد عزة يونس: 2014 م ، ص72)

ومن الحذف أيضا: حذف المسند إليه أو المسند في التركيب الواحد إذ الأصل في المسند إليه أن يذكر فلا يحذف إلا إذا توفرت في سياق الكلام قرينة دالة عليه وأفاد الحذف معنى إضافيا لا يكون عند الذكر، ولا يحذف أيضا المسند سواء كان خبرا أم فعلا إلا إذا دل عليه دليل حالي أو مقالي. قال تعالى: { **قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** } [يوسف:83] فحذف في هذه الآية المسند أو المسند إليه، وعليه يكون التقدير احتمال معنيين:

ـ فأمري صبر جميل.

ـ فصبر جميل أجمل.

ومنه أيضا قوله تعالى: { **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ** } [النُّور : 53] فالملاحظ هنا حذف المسند أوالمسند إليه وأفاد ذلك أمرين:

ـ الاول: وأمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها,

والثاني: طاعة معروفة أمثل لكم. (عبد الفتاح لاشين: 1420هـ / 2000م ،ص 155)

4 ــ 3 ــ ومن أمثلة الحذف الذي هو من باب الإيجاز حذف جملة فأكثر ماورد في الآيات التالية:

يسمي أهل البلاغة الحذف في باب الإيجاز بـ" إيجاز الحذف" حيث يشترطون أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف من قرائن عقلية وحالية ولفظية وسياقية، يقول الطاهر بن عاشور:"... إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفا ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق، زيادة على جمعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل " (ابن عاشور: 1420هـ/2000م ،ج1 ، ص122)

ويبين فائدته وجوده في التعبير القرآني فيقول:"... ولولا إيجاز القرآن لكان ما يتضمنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن، وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يَدِقُّ عن تقطن العالِم ويزيد عن تبصره" (ابن عاشور: 1420هـ/2000م ،ج1 ، ص122)

ومع تطور الدراسات اللغوية الحديثة خاصة في لسانيات النص ظهرت نظرية (نحو النص) في مطلع السبعينات من القرن العشرين التي تعمد على معايير عدة في تحليل النصوص من بينها معيار الحذف الذي

أصبح له غرض واضح وهو التماساك النصي ؛ إذ ينظر إلى النص على أنه بنية كلية لا على أنه جميل فرعية.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في آيات كثيرة من حذف لجمل برمتها يدلنا عليه السياق والتقدير وله أغراض بلاغية متعددة، منها قوله تعالى : { **وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } [لقمان:27] حيث بينه الألوسي عند تفسيره لهذه الآية بقوله:"...وفي الكلام إختصار يسمى (حذف إيجاز) ويدل على المحذوف السياق والتقدير: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله تعالى ما نفدت لعدم تناهيها ونفد تلك الأقلام والمداد لتناهيها " (الألوسي: (د.ت) ،ج21، ص100)

ونظير ذلك في الإشتمال على إيجاز الحذف لجمل عديدة قوله تعالى : { **فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ**} [الْبَقَرَة: 196]) أي فحلق رأسه لدفع ما به من الأذى ففدية.

الملاحظ أن ظاهر الآية تحمل معنى أن الفدية واجبة على المريض أو من به أذى وإن لم يحلق، لكن الفدية مترتبة على الحلق لا على مجرد المرض أو الأذى، ولذلك يقدر المحذوف " ... فحلق فعليه فدية" يتبين الدلالة التي تشير إليها الآية

جاء في التحرير والتنوير:"... وقوله: ففدية من صيام محذوف المسند إليه لظهورِه أي عليه، والمعنى فليحلق رأسه وعليه فدية، وقرينة المحْذوف قوله: " ولا تحلقوا رؤسكم". (ابن عاشور: 1420هـ/2000م ،ج2 ، ص225))

ومن أغراضه: الحذف في مقام الوعيد لما له من أثر على النفس وذلك كثير في القرآن، ومنه ماجاء في قوله تعالى: { **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** } [البقرة:210] جاء في التفسير:" في التأويل أن المعنى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب) فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم؛ إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد، وإذا لم يذكر كان أبلغ لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه. ومثله قوله تعالى: { **فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ** } [الحشر: 2] ، والمعنى: (أتاهم الله بخذلانه إياهم من حيث لم يحتسبوا) ".(الرازي: 2003م، ج5، ص193)

ومن شأن الحذف: الدلالة على تفخيم الأمر وتعظيمه، ومن ذلك ما ورد في التراكيب التي تحتوي على الأداة (لو) وقد حذف جوابها، ومثاله قوله تعالى: { **وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** } [الأنعام: 27]، فقد بين المفسرون غرضه البلاغي وأثره على النفس، جاء في التفسير الكبير:" قوله:{ وَلَوْ تَرَىَ }يقتضي له جواباً وقد حذف تفخيماً للأمر وتعظيماً للشأن، وجاز حذفه لعلم المخاطب به، وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر، ولو قدرت الجواب كان التقدير: (لرأيت سوء منقلبهم)، أو(لرأيت سوء حالهم)، وحذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنك لو قلت لغلامك: (والله لئن قمت إليك) وسكتّ عن الجواب. ذهب بفكره إلى أنواع المكروه من الضرب والقتل، والكسر؛ وعظم الخوف، ولم يدر أي الأقسام تبغي، ولو قلت: (والله لئن قمت إليك لأضربنك). فأتيت بالجواب لعلم أنك لم تبلغ شيئاً غير الضرب، ولا يخطر بباله نوع من المكروه سواه. فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيراً في حصول الخوف".(الرازي : 2003م ج12 ، 163) ، وجاء في روح المعاني أيضا:" ... و(لو) شرطية على أصلها وجوابها محذوف لتذهب نفس السامع كل مذهب فيكون أدخل في التهويل ونظير ذلك قوله امريء القيس :

وجدك لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

وقولهم: (لو ذات سوار لطمتني)".(الألوسي : (د.ت) ج7، ص 128)

ومن أغراض الحذف : التعظيم والتهويل كما جاء في قوله تعالى: { **وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ** } [التوبة:59]، فجواب (لو) في الآية محذوف، وغرضه أبلغ في التعظيم والتهويل ما كان ليحصل لو ذكر الجواب فجاء في التفسير:" واعلم أن جواب (لو) محذوف والتقدير: لكان خيراً لهم وأعود عليهم؛ وذلك لأنه غلب عليهم النفاق، ولم يحضر الإيمان

في قلوبهم فيتوكلوا على الله حق توكله. وترك الجواب في هذا المعرض أدل على التعظيم والتهويل وهو كقولك للرجل: لو جئتنا ثم لا تذكر الجواب أي لو فعلت ذلك لرأيت أمراً عظيماً ". (الرازي: 2003م،ج16، ص86)
ويكثر حذف الجمل في القصص القرآني من ذلك ماجاء في قصة بلقيس في قوله تعالى: **{ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ}** [النمل:28 ، 29]
فبين قول سليمان وقولها جملا محذوفة دلت عليها القرينة العقلية وسياق اللفظ، والتقدير :فأخذ الكتاب فألقاه إليها فقرأته وقالت.(طاهر سليمان :1998و ،ص293)
وجاء في التحرير والتنويرفي تفسير هذه الآية :" طويت أخبار كثيرَة دل عليها ما بين الخبرين المذكورين من اقتضاء عدة أحداث، إذ التقدير: فذهب الهدهد إلى سبأ فرمى بالكتاب فأبلغ الكتاب إلى الملكة وهي في مجلس ملكها فقرأته، قالت:..." (ابن عاشور: 1420هـ/2000م ،ج19، ص258))
وفي قوله تعالى: **{ وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يَا أُولِي الْأَلْبابِ }** [الْبَقَرَة: 179]، يجمع علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة بالغة إلى أعلى الدرجات ، وذلك لأن العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة، كقولهم : "قتل البعض إحياء للجميع"، وقول آخرين : "أكثروا القتل ليقل القتل"، جاء في تفسير هذه الآية وبيان جودة هذا الإيجاز :"... وأجود الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم : "القتل أنفى للقتل" ، ثم إن لفظ القرآن أفصح من هذا ، وبيان التفاوت من وجوه :
ــ أحدها : أن قوله : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } أخصر من الكل ، لأن قوله : { وَلَكُمْ } لا يدخل فيهذا الباب ، إذ لا بد في الجميع من تقدير ذلك ، لأن قول القائل : قتل البعض إحياء للجميع لا بد فيه من تقدير مثله ، وكذلك في قولهم : القتل أنفى للقتل فإذا تأملت علمت أن قوله : { فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } أشد اختصاراً من قولهم : "القتل أنفى للقتل".
ــ وثانيها : أن قولهم : القتل أنفى للقتل ظاهرة يقتضي كون الشيء سبباً لانتفاء نفسه وهو محال ، وقوله : { فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } ليس كذلك ، لأن المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ، ثم ما جعله سبباً لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكرة ؛ بل جعله سبباً لنوع من أنواع الحياة .
ــ وثالثها : أن قولهم: "القتل أنفى للقتل" فيه تكرار للفظ (القتل) وليس قوله : { فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } كذلك،
ورابعها : أن قول القائل: "القتل أنفى للقتل" لا يفيد إلا الردع عن القتل ، وقوله : { فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } يفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهو أجمع للفوائد.
وخامسها : أن نفي القتل مطلوب تبعاً من حيث إنه يتضمن حصول الحياة ، وأما الآية فإنها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي ، فكان هذا أولى.
وسادسها : أن القتل ظلماً قتل ، مع أنه لا يكون نافياً للقتل بل هو سبب لزيادة القتل ، إنما النافي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القصاص ، فظاهر قولهم باطل ، أما الآية فهي صحيحة ظاهراً وتقديراً ، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب". (الرازي: 2003م ،ج5 ، ص49)
وكذالك فعل الأولسي في بيان أن إيجاز آية القصاص أخصر من تعبيرات العرب حول نفس المعنى، يقول الألوسي:" ... { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } عطف على قوله تعالى : (كتب عليكم) والمقصود منه توطين النفس على الإنقياد لحكم (القصاص) لكونه شاقا للنفس وهو كلام في غاية البلاغة وكان أوجز كلام عندهم في هذا المعنى "القتل أنفي القتل" وفضل هذا الكلام عليه من وجوه:
ــ الأول قلة الحروف فإن الملفوظ هنا عشرة أحرف إذا لم يعتبر التنوين حرفا على حدة وهناك أربعة عشر حرفا.
ــ الثاني الإطراد إذ في كل قصاص حياة وليس كل قتل أنفي للقتل فإن للقتل ظلما أدعى للقتل:
ــ الثالث ما في تنوين (حياة) من النوعية أو التعظيم.
ــ الرابع صنعة الطباق بين القصاص والحياة فإن (القصاص) تفويت الحياة فهو مقابلها.
ــ الخامس النص على ما هو المطلوب بالذات أعني الحياة فإن نفي القتل إنما يطلب لها لا لذاته.
ــ السادس الغرابة من حيث جعل الشيء فيه حاصلا في ضده ومن جهة أن المظروف إذا حواه الظرف صانه عن التفرق فكان (القصاص) فيما نحن فيه يحمي الحياة من الآفات.

ـ السابع الخلو عن التكرار مع التقارب فإنه لا يخلو عن إستبشاع ولا يعد رد العجز على الصدر حتى يكون محسنا.
ـ الثامن: عذوبة اللفظ وسلاسته حيث لم يكن فيه ما في قولهم من توالي الأسباب الخفيفة إذ ليس في قولهم : حرفان متحركان على التوالي إلا في موضع واحد ولا شك أنه ينقص من سلاسة اللفظ وجريانه على اللسان وأيضا الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام.
ـ التاسع: عدم الإحتياج إلى الحيثية وقولهم : يحتاج إليها.
ـ العاشر: (تعريف (القصاص) بلام الجنس الدالة على حقيقة هذا الحكم المشتملة على الضرب والجرح والقتل وغير ذلك .
ـ الحادي عشر: خلوه من أفعل الموهم أن في الترك نفيا للقتل أيضا.
ـ الثاني عشر: إشتماله على ما يصلح للقتال وهو الحياة بخلاف قولهم فإنه يشتمل على نفي أكتنفه قتلان وإنه لمما يليق بهم .
ـ الثالث عشر: خلوه عما يوهمه ظاهر قولهم من كون الشيء سببا لإنتفاء نفسه وهو محال إلى غير ذلك فسبحان من علت كلمته وبهرت آيته ...". (الألوسي: (د.ت) ،ج2، ص 51)

5.خاتمة

من خلال ماتقدم في حيثيات هذه الورقة البحثية يتبين أن الحذف أو الإيجاز في الكلام سواء كان إيجاز حذف أو إيجاز قصر هو من أساليب العرب في استعمالاتهم اللغوية ، إذ يمثل غاية يتنافس إليها فصحاؤهم ، لأجل وفرة المعاني ، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأقصرها، وبأقل جهد في التصويت. وقد جاء القرآن الكريم بأبدعه؛ إذ أن قوام أساليبه كان جاريا على أسلوب الحذف، بحيث نَسج نظمه نسجا بالغا منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظا ومعنى بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم. ثم أنك تجد في تراكيب كثيرة من التعبير القرآني حذفا لا يخلو الكلام من قرائن عقلية أو سياقية أو لفظية تدل عليه. وهذا الحذف تعددت أنواعه وأغراضه خدمة للتماسك النصي في الآية ، والآيات، والسورة، بل القرآن كله كما قال الفخر الرازي :" والقرآن كله كالكلمة الواحدة..." ومن ثمة خدمة لسياق السورة والآية وما تضمنته من معاني وأحداث وقصص.

قائمة المصادر والمراجع:

1ـ أحمد عزة يونس. العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم. ط1 ،القاهرة: 2014 م، دار الآفاق العربية.
2 ـ الألوسي (أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،بيروت،(د.ت) ، دار إحياء التراث العربي.
3 ـ ـ الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر عبد الله بن يوسف ,ت471هـ) ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني .تح: محمود محمد شاكر، ط3 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي.
4 ـ ـ الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى الرماني) ، النكت في إعجاز القرآن ، :1318، ، المكتبة التيمورية.
5 ـ الزركشي (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله . ت794هـ). البرهان في علوم القرآن . تحقيق: د. محمد أبو الفضل . ط1, بيروت:1957م ، دار المعرفة.
6 ـ السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ت626هـ) . مفتاح العلوم ، تح: عبد الحميد هنداوي ، ط1 ، بيروت: 1420 هـ ـ 2000م، دار الكتب العلمية.
7 ـ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.ت180هـ). الكتاب.تحقيق:عبد السلام محمد هارون. ط3, القاهرة:1408هـ/1988م، مكتبة الخانجي.
8 ـ طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ط1، مصر: 1998م، الدار الجامعية
9 ـ ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ت 1393هـ) ، التحرير والتنوير. (د.ط)، ، تونس: (د.ت) الدار التونسية للنشر.

10 ـ العكبري أبو البقاء. التبيان في إعراب القرآن،ط1 ، دمشق:1988م، ،دار إحياء الكتب الغربية.
11ـ ـعبد الفتاح لاشين. المعاني في ضوء أساليب القرآن ، القاهرة 1420هـ/2000م، دار الفكر العربي.
12 ـ العكبري (أبو البقاء محب الدين عبد الله ,ت616هـ) ، اللباب في علل البناء والإعراب . تحقيق: غازي مختار طليمات, الطبعة الأولى، دمشق 1995م ،. دار الفكر.
13 ـ علي أبو المكارم:
ـ الحذف والتقدير:2008م، ص 200، دار غريب للنشر والطباعة.
ـ أصول التفكير النحوي ، القاهرة ،ط1 ،القاهرة2007م، ، دار غريب للطباعة والنشر.
14 ـ فاضل صالح السامرائي.ـ الجملة العربية والمعنى, الطبعة الأولى ؛ بيروت , لبنان: 1421هـ/2000م . . دار ابن حزم.
15 ـ الفخر الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، ت606هـ) ـ التفسير الكبير. ت: هاني الحاج وعماد زكي البارودي, (د.ط) ، مصر:2003م، المكتبة التوفيقية.
16- ـ الفراء (أبو زكرياء يحي بن زياد207هـ). معاني القرآن . تحقيق: محمد علي نجار وآخرون،(د.ط) ، مصر: (د.ت) ، الدار المصرية
17 ـ ابن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي المصري. ت711هـ). لسان العرب . تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي . الطبعة الأولى, بيروت: 1413هـ/1995م , ؛ دار صادر.
18 ـ ابن هشام الأنصاري (جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري.ت761هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . الطبعة الثانية, القاهرة , مصر: 1426هـ/2005م . ؛ دار السلام.